دائرة معارف
في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم

تأليف

العلامة شبلي النعماني

أكمله

العلامة / سيد سليمان الندوي

الجزء الأول والثاني

قدم له

أ.د/ علي جمعة

مفتي الديار المصرية

ترجمه وكتب حواشيه

الدكتور يوسف حامد

قسم اللغة الأردية

جامعة الأزهر

طبع على نفقة

د/ حسن عباس زكي

مقدمة فى السيرة النبوية

الموضوعات

الموضوع	صفحة
تعريف السيرة	١
أهمية دراسة السيرة	١
اهتمام المسلمين بنقل كل ما يتعلق برسول الله ﷺ	٤
التثبت فى نقل الحديث والأخبار	٥
منهج الصحابى فى قبول الأخبار عن رسول الله ﷺ	٦
مقدمة فى تدوين السنة من عصر الصحابة إلى عصرنا هذا	١١
التدوين فى عصر الصحابة	١١
التدوين فى عصر التابعين	١٥
التدوين فى القرن الثالث الهجرى	٢٢
التدوين فى القرن الرابع الهجرى	٢٧
التدوين فى القرن الخامس الهجرى	٣٨
من أشهر علماء القرن السادس	٤٥
من أشهر علماء القرن السابع	٤٨
من أشهر علماء القرن الثامن	٥٠
من أشهر علماء القرن التاسع	٥٣
من أشهر علماء القرن العاشر	٥٧
من أشهر علماء القرن الحادى عشر	٥٩
من أشهر علماء القرن الثانى عشر	٦٠

الموضوع	صفحة
من أشهر علماء القرن الثالث عشر	٦١
من أشهر علماء القرن الرابع عشر	٦١
من أشهر علماء القرن الخامس عشر	٦٢
المنهج الذى اتبعه المسلمون فى جمع السيرة وكتابتها	٦٣
جهود العلماء لمعرفة الكذب	٦٤
مصادر السيرة النبوية	٧٠
منهج التصنيف والكتابة التى تناولت السيرة النبوية إجمالا	٨٣
الطريقة الأولى مرحلة النشء والتصانيف الجامعة	٨٣
الطريقة الثانية : التصايف التى دونت فى بعض جوانب من السيرة النبوية	٨٧
الطريقة الثالثة : التصانيف التى دونت فى التاريخ عامة	٩١
الطريقة الرابعة : المتون المنظومة والمختصرات المنثورة	٩٢
الطريقة الخامسة : تصانيف المعاصرين	٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

السيرة فى اللغة : لها معانٍ كثيرة ، فمنها :

الطَّريقة ، يقال : سارَ بهم سِيْرَةً حَسَنَةً .

والهَيْئَةُ ، قال الله تعالى {سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى} [طه : ٢١]

والسيرة فى الاصطلاح :

لأهل العلم تعريفان مشهوران :

أحدهما : وهو موافق لتعريف السنة ، ما أثر عن النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خِلْقى أو خُلُقِى .

الثانى : ولعله ينطبق على هذا العِلْم : علم يعرف به أحوال النبى ﷺ منذ ولادته ونشأته إلى وفاته ﷺ .

أهمية دراسة السيرة :

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى فى مقدمة كتابه فقه السيرة بعنوان " أهمية السيرة النبوية فى فهم الإسلام " :

ليس الغرض من دراسة السيرة النبوية وفقهها مجرد الوقوف على الوقائع التاريخية ، ولا سرد ما طرف أو جمل من القصص والأحداث ولذا فلا ينبغى أن نعتبر دراسة فقه السيرة النبوية من جملة الدراسة التاريخية ، شأنها كشأن الاطلاع على سيرة خليفة من الخلفاء أو عهد من العهود التاريخية الغابرة .

وإنما الغرض منها أن يتصور المسلم الحقيقة الإسلامية فى مجموعها متجسدة فى حياته ﷺ بعد أن فهمها مبادئ وقواعد وأحكام مجردة فى الذهن .

أى إن دراسة السيرة النبوية ليست سوى عمل تطبيقى يراد منه تجسيد الحقيقة الإسلامية كاملة فى مثلها الأعلى محمد ﷺ .

وإذا أردنا أن نجزئ هذا الغرض ونصنف أجزاءه ، فإن من الممكن حصرها فى الأهداف التفصيلية التالية :

١- فهم شخصية الرسول ﷺ النبوية من خلال حياته وظروف العصر الذى بعث فيه والتى عاش فيها ، للتأكد من أن محمد ﷺ لم يكن مجرد عبقرى سمت به عبقريته بين قومه ولكنه قبل ذلك رسول أيده الله بوحى من عنده وتوفيق من لدنه .

٢- أن يجد الإنسان بين يديه صورة للمثل الأعلى فى كل شأن من شئون الحياة الفاضلة ، كى يجعل منها دستورا يتمسك به ويسير عليه ، ولا ريب أن الإنسان مهما بحث عن مثل أعلى فى ناحية من نواحى الحياة فإنه واجد كل ذلك فى حياة الرسول ﷺ أعظم ما يكون من الوضوح والكمال ، ولذا جعله الله قدوة للإنسانية كلها إذ قال (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً) [الأحزاب :٢١] فهو بحق صخرة الكونين ، عالم الغيب وعالم الشهادة ، بمعنى أنه خير مستند لمن استند إليه ، وهو يسع الخلق أجمعين (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [الأنبياء : ١٠٧] وليست هذه الصفة إلا للإنسان الكامل الذى أرسله الله خاتما للأنبياء والمرسلين ، وإماما للمتقين إلى يوم الدين ، وهو مثالهم ، ودينه يخاطب الناس أجمعين .

٣- أن يجد الإنسان فى دراسة سيرته ﷺ ما يعينه على فهم كتاب الله تعالى وتذوق روحه ومقاصده ، إذ إن كثيرا من آيات القرآن إنما يجليها وتفسرها الأحداث التى مرت برسول الله ﷺ وموقفه منها .

٤- أن تتجمع لدى المسلم من خلال دراسة سيرته ﷺ أكبر قدر من الثقافة والمعارف الإسلامية الصحيحة ، سواء ما كان منها متعلقا بالعقيدة والأحكام والأخلاق ، إذ لا ريب أن حياته ﷺ إنما هى صورة مجسدة نيرة لمجموع مبادئ الإسلام وأحكامه .

٥- أن يكون لدى المعلم والداعية الإسلامى نموذج حى عن طرائق التربية والتعليم ، فلقد كان سيدنا محمد ﷺ مربيا فاضلا ومعلما ناصحا لم يأل جهدا فى تلمس أجدى الطرق الصالحة للتربية والتعليم خلال مختلف مراحل دعوته .

وإن من أهم ما يجعل سيرته ﷺ وافية بتحقيق هذه الأهداف كلها أن حياته عليه الصلاة والسلام شاملة لكل النواحى الإنسانية والاجتماعية التى توجد فى الإنسان من حيث إنه فرد مستقل بذاته أو من حيث إنه عضو فعال فى المجتمع. فحياته عليه الصلاة والسلام تقدم إلينا نماذج سامية للشاب المستقيم فى سلوكه ، الأمين مع قومه وأصحابه ، كما تقدم النموذج الرائع للإنسان الداعى إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، الباذل منتهى الطاقة فى سبيل إبلاغ رسالته ، ولرئيس الدولة الذى يسوس الأمور بحذق وحكمة بالغة ، وللزوج المثالى فى حسن معاملته والأب فى حنو عاطفته مع تفريق دقيق بين الحقوق والواجبات لكل من الزوجة والأولاد ، وللقائد الحربى الماهر ، والسياسى الصادق المحنك ، وللمسلم الجامع - فى دقة وعدل - بين واجب التعبد والتبتل لربه ، والمعاشرة الفكهة اللطيفة مع أهله وأصحابه .

لا جرم إذاً أن دراسة السيرة النبوية ليست إلا إبرازا لهذه الجوانب الإنسانية كلها مجسدة فى أرفع نموذج وأتم صورة . اهـ مع تصرف وزيادة .

ويمكن تلخيص ما سبق فى النقاط التالية :

إن دراسة السيرة تفيد فى :

١- الكشف عن المنهج الذى سار عليه النبى ﷺ فى حياته تطبيقاً لشعائر الإسلام .

٢- معرفة المقياس الصحيح فى مدى انتساب الأمة لشرعها .

٣- دراستها ترشدنا إلى سلامة اتباع النبى ﷺ .

٤- دراستها تعرفنا المنهج السليم للدعوة إلى الله .

٥- شمولها لجميع جوانب حياة الرسول : الحاكم ، الزوج ، القائد .

٦- أنها تمتاز بالوضوح، فقد عُرِفَ عدد الشعرات البيض فى رأس الرسول ﷺ.

اهتمام المسلمين بنقل كل ما يتعلق برسول الله ﷺ

كان للصحابة عناية شديدة برواية الحديث ونقله عن رسول الله ﷺ وتمثل ذلك فى:

١- شدة الملازمة لرسول الله ﷺ

فقد روى البخارى (١١٨) ومسلم (٢٤٩٢) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ ، وَلَوْلاَ آيَتَانِ فِى كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثاً ، ثُمَّ يَتْلُو (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ) إِلَى قَوْلِهِ (الرَّحِيمُ) إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ ، وَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الْعَمَلُ فِى أَمْوَالِهِمْ ، وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشِبَعِ بَطْنِهِ وَيَحْضُرُ مَا لاَ يَحْضُرُونَ ، وَيَحْفَظُ مَا لاَ يَحْفَظُونَ .

٢- التناوب فى السماع من النبى ﷺ فى حياته :

فقد روى البخارى (٢٤٦٨) عن عُمَرَ بن الخطاب رضى الله عنه قال : إِنِّى كُنْتُ وَجَارٌ لِى مِنَ الأَنْصَارِ فِى بَنِى أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ ، وَهْىَ مِنْ عَوَالِى الْمَدِينَةِ ، وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى النَّبِىِّ ﷺ فَيَنْزِلُ يَوْماً وَأَنْزِلُ يَوْماً ، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ مِنْ خَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الأَمْرِ وَغَيْرِهِ .

٣- الرحلة فى طلب حديثه بعد وفاته ﷺ :

فقد روى البخارى (فى كتاب الْعِلْمِ باب ١٩) مختصرا قال : وَرَحَلَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ فِى حَدِيثٍ وَاحِدٍ .

وأخرج الإمام أحمد (٣/٤٩٥) القصة بطولها فقال : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ بَلَغَنِى حَدِيثٌ عَنْ رَجُلٍ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاشْتَرَيْتُ بَعِيراً ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلِى فَسِرْتُ إِلَيْهِ شَهْراً حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ الشَّامَ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُنَيْسٍ فَقُلْتُ لِلْبَوَّابِ قُلْ لَهُ جَابِرٌ عَلَى الْبَابِ . فَقَالَ : ابنُ عَبْدِ اللَّهِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَخَرَجَ يَطَأُ ثَوْبَهُ فَاعْتَنَقَنِى وَاعْتَنَقْتُهُ فَقُلْتُ حَدِيثاً بَلَغَنِى عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِى الْقِصَاصِ فَخَشِيتُ أَنْ تَمُوتَ أَوْ أَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ . قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ الْعِبَادُ - عُرَاةً غُرْلاً بُهْماً » . قَالَ قُلْنَا وَمَا بُهْماً قَالَ « لَيْسَ مَعَهُمْ شَىْءٌ ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ وَلاَ يَنْبَغِى لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ وَلاَ يَنْبَغِى لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ حَتَّى اللَّطْمَةُ » . قَالَ قُلْنَا : كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاةً غُرْلاً بُهْماً . قَالَ « بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ » .

التثبت فى نقل الحديث والأخبار :

إن القرآن الكريم والسنّة النبوية يأمران بالتبيّن والتثبّت فى خبر الفاسق دون العدل الثقة حتى لا يُصاب أحد بجهالة أو ظلم أو قالة سوء ، قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) [الحجرات: ٦] .

وروى البخارى (٥١٤٣) ومسلم (٢٥٦٣) عَن أَبى هُرَيْرَةَ رضى الله عنه عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ »

وروى أبو داود (٤٩٩٢) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ « كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ » .

وروى مسلم فى مقدمته (٩) عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضى الله عنه قال : بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الْكَذِبِ أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ .

وقد بدأ الاهتمام بالإسناد والسؤال عنه فى فترة مبكرة بعد وفاة النبى ﷺ مباشرة ، فقد كان منهج الصحابة رضوان الله عليهم التثبّت فى الرواية والتأكد من صحة النص مع أنهم لا يتهمون رواتها بالكذب ، وكان المنهج يتلخص فى:

١- التثبت من الناقل واستحلافه من أجل المحافظة على السنة :

فقد روى أبو داود (١٥٢١) وغيره : عَنْ أَسْمَاءَ بْنِ الْحَكَمِ الْفَزَارِىِّ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ كُنْتُ رَجُلاً إِذَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثاً نَفَعَنِى اللَّهُ مِنْهُ بِمَا شَاءَ أَنْ يَنْفَعَنِى وَإِذَا حَدَّثَنِى أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ اسْتَحْلَفْتُهُ فَإِذَا حَلَفَ لِى صَدَّقْتُهُ قَالَ وَحَدَّثَنِى أَبُو بَكْرٍ وَصَدَقَ أَبُو بَكْرٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْباً فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلاَّ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ » . ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ) إِلَى آخِرِ الآيَةِ .

٢- الاحتياط فى قبول الأخبار :

فهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه حين سئل عن الجَدَّة هل ترث ؟ فأجابه المغيرة بن شعبة رضى الله عنه أنها ترث السدس ، فطلب منه أن يأتيه بشاهد،

فشهد محمد بن مسلمة رضى الله عنه . فقد روى أبو داود (٢٨٩٤) عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ ذُؤَيْبٍ أَنَّهُ قَالَ جَاءَتِ الْجَدَّةُ إِلَى أَبِى بَكْرٍ الصِّدِّيقِ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا فَقَالَ مَا لَكِ فِى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى شَىْءٌ وَمَا عَلِمْتُ لَكِ فِى سُنَّةِ نَبِىِّ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً فَارْجِعِى حَتَّى أَسْأَلَ النَّاسَ . فَسَأَلَ النَّاسَ فَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ حَضَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْطَاهَا السُّدُسَ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ هَلْ مَعَكَ غَيْرُكَ فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَأَنْفَذَهُ لَهَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ جَاءَتِ الْجَدَّةُ الأُخْرَى إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا فَقَالَ مَا لَكِ فِى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى شَىْءٌ وَمَا كَانَ الْقَضَاءُ الَّذِى قُضِىَ بِهِ إِلاَّ لِغَيْرِكِ وَمَا أَنَا بِزَائِدٍ فِى الْفَرَائِضِ وَلَكِنْ هُوَ ذَلِكَ السُّدُسُ فَإِنِ اجْتَمَعْتُمَا فِيهِ فَهُوَ بَيْنَكُمَا وَأَيَّتُكُمَا خَلَتْ بِهِ فَهُوَ لَهَا .

وكذلك اعتذر عمر بن الخطاب من أبى بن كعب عندما حدثه بحديث ، فطلب منه أن **يأتيه** ببينة على ما يقوله ، فلما أتاه بذلك قال له : أما إنى لم أتهمك ، ولكنى أحببت أن أتثبت . فقد روى البخارى (٦٢٤٥) ومسلم (٢١٥٣) عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ قَالَ كُنْتُ فِى مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الأَنْصَارِ إِذْ جَاءَ أَبُو مُوسَى كَأَنَّهُ مَذْعُورٌ فَقَالَ اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عُمَرَ ثَلاَثاً ، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِى فَرَجَعْتُ فَقَالَ مَا مَنَعَكَ قُلْتُ اسْتَأْذَنْتُ ثَلاَثاً ، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِى فَرَجَعْتُ ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلاَثاً فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ ، فَلْيَرْجِعْ » . فَقَالَ وَاللَّهِ لَتُقِيمَنَّ عَلَيْهِ بِبَيِّنَةٍ . أَمِنْكُمْ أَحَدٌ سَمِعَهُ مِنَ النَّبِىِّ ﷺ فَقَالَ أُبَىُّ بْنُ كَعْبٍ وَاللَّهِ لاَ يَقُومُ مَعَكَ إِلاَّ أَصْغَرُ الْقَوْمِ ، فَكُنْتُ أَصْغَرَ الْقَوْمِ ، فَقُمْتُ مَعَهُ فَأَخْبَرْتُ عُمَرَ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ ذَلِكَ .

٣- عرض السنة على القرآن :

فإذا خالفه مخالفة لا يمكن معها الجمع حكموا بردّه إذا تعذر تأويله أو توجيهه:

ففى قصة عائشة رضى الله عنها عندما سمعت حديث عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله قال : إن الميت ليعذَّب ببكاء أهله عليه . فقالت : رحم الله عمر ، والله ما حدث رسول الله أن الله يعذب المؤمنين ببكاء أحد ، ولكن قال : إن الله يزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه ؛ وقالت : حسبكم القرآن (وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) .

فقد روى البخارى (١٢٨٨) ومسلم (٢١٩٠) وأبو داود (٣١٢٩) واللفظ له : عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ » . فَذُكِرَ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ فَقَالَتْ وَهِلَ - تَعْنِى ابْنَ عُمَرَ - إِنَّمَا مَرَّ النَّبِىُّ ﷺ عَلَى قَبْرٍ فَقَالَ « إِنَّ صَاحِبَ هَذَا لَيُعَذَّبُ وَأَهْلُهُ يَبْكُونَ عَلَيْهِ » . ثُمَّ قَرَأَتْ (وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) وفى رواية مسلم : قَالَ لَمَّا بَلَغَ عَائِشَةَ قَوْلُ عُمَرَ وَابْنِ عُمَرَ قَالَتْ إِنَّكُمْ لَتُحَدِّثُونِّى عَنْ غَيْرِ كَاذِبَيْنِ وَلاَ مُكَذَّبَيْنِ وَلَكِنَّ السَّمْعَ يُخْطِئُ .

وفى قصة فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ قَالَ عُمَرُ لاَ نَتْرُكُ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّنَا ﷺ لِقَوْلِ امْرَأَةٍ لاَ نَدْرِى لَعَلَّهَا حَفِظَتْ أَوْ نَسِيَتْ لَهَا السُّكْنَى وَالنَّفَقَةُ فقد روى مسلم (٣٧٨٣) عَنْ أَبِى إِسْحَاقَ قَالَ كُنْتُ مَعَ الأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ جَالِساً فِى الْمَسْجِدِ الأَعْظَمِ وَمَعَنَا الشَّعْبِىُّ فَحَدَّثَ الشَّعْبِىُّ بِحَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَجْعَلْ لَهَا سُكْنَى وَلاَ نَفَقَةً ثُمَّ أَخَذَ الأَسْوَدُ كَفًّا مِنْ حَصًى فَحَصَبَهُ بِهِ . فَقَالَ وَيْلَكَ تُحَدِّثُ بِمِثْلِ هَذَا قَالَ عُمَرُ لاَ نَتْرُكُ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّنَا ﷺ لِقَوْلِ امْرَأَةٍ لاَ نَدْرِى لَعَلَّهَا حَفِظَتْ أَوْ نَسِيَتْ لَهَا السُّكْنَى وَالنَّفَقَةُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) .

٤- عرض السنة بعضها على بعض :

وذلك فيما ظاهره التعارض بين الأحكام :

ففى مسلم (٣٤٩) عَنْ أَبِى مُوسَى قَالَ اخْتَلَفَ فِى ذَلِكَ رَهْطٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ فَقَالَ الأَنْصَارِيُّونَ لاَ يَجِبُ الْغُسْلُ إِلاَّ مِنَ الدَّفْقِ أَوْ مِنَ الْمَاءِ . وَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ بَلْ إِذَا خَالَطَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ . قَالَ قَالَ أَبُو مُوسَى فَأَنَا أَشْفِيكَ مِنْ ذَلِكَ . فَقُمْتُ فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَأُذِنَ لِى فَقُلْتُ لَهَا يَا أُمَّاهْ - أَوْ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ - إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكِ عَنْ شَىْءٍ وَإِنِّى أَسْتَحْيِيكِ . فَقَالَتْ لاَ تَسْتَحْيِى أَنْ تَسْأَلَنِى عَمَّا كُنْتَ سَائِلاً عَنْهُ أُمَّكَ الَّتِى وَلَدَتْكَ فَإِنَّمَا أَنَا أُمُّكَ . قُلْتُ فَمَا يُوجِبُ الْغُسْلَ قَالَتْ عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطْتَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الأَرْبَعِ وَمَسَّ الْخِتَانُ الْخِتَانَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ » .

٥- عرض السنة على القياس :

ومن ذلك ما رواه الترمذى (٧٩) وابن ماجه (٤٨٥) عَنْ أَبِى سَلَمَةَ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « الْوُضُوءُ مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ وَلَوْ مِنْ ثَوْرٍ أَقِطٍ » . قَالَ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنَتَوَضَّأُ مِنَ الدُّهْنِ أَنَتَوَضَّأُ مِنَ الْحَمِيمِ قَالَ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَا ابْنَ أَخِى إِذَا سَمِعْتَ حَدِيثاً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلاَ تَضْرِبْ لَهُ مَثَلاً .

وفى أعقاب الفتنة التى شهدها صدر الإسلام فى عهد عثمان رضى الله عنه وترتّب عليها ظهور الفرق ذات الآراء السياسية المتعارضة والأهواء المذهبية المتعصّبة ، ففشا الكذب وظهر الوضع ، ولجأ أتباع هذه الفرق إلى الوضع فى الحديث وفى الأخبار .

وهذا ما جعل العلماء يؤكّدون على ضرورة التثبُّت فى مصادر الرواية ويسألون عن الرجال الذين اشتركوا فى نقلها .

ففى شأن الإسناد روى مسلم فى مقدمته (٢٧) عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الإِسْنَادِ فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ قَالُوا سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ فَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ فَلاَ يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ .

وهكذا فإن ابن سيرين جعل قيام الفتنة بداية التفتيش عن الإسناد لتوثيق الأحاديث والأخبار ، وقبل ذلك لم يكن يتشدد فى السؤال عن الأسانيد ، بل كانت الرواية تقبل ، وإن كانت مرسلة ثقة بالرواة .

ومما يدل على هذا قول ابن عباس رضى الله عنه كما فى مقدمة مسلم (١٩) : إِنَّا كُنَّا نُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ لَمْ يَكُنْ يُكْذَبُ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ تَرَكْنَا الْحَدِيثَ عَنْهُ .

فعبّر ابن عباس هنا عن الفتنة بقوله ركوب الناس الصعب والذلول ، ولذا كان لا يقبل إلا ما يعرف .

وقال ابن المبارك كما فى مقدمة مسلم (٣٢) : الإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ وَلَوْلاَ الإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ .

وقال الحاكم (فى معرفة علوم الحديث ص٦) متعقّباً : فلولا الإسناد وطلب هذه الطائفة له وكثرة مواظبتهم على حفظه لَدُرِسَ منارُ الإسلام ولتمكّن أهل الإلحاد والبدع بوضع الأحاديث وقلب الأسانيد ، فإن الأخبار إذا تعرَّتْ عن وجود الأسانيد كانت بتراء .

وظلت هذه المقاييس تستخدم فى نقد المتون فى عصر الصحابة والتابعين ، وظهر مقياس جديد وهو :

٦- النظر العقلى والمعلومات التاريخية الثابتة فى نقد بعض المتون :

ومثال ذلك ما حدث فى عام (٤٤٧ هـ) كما فى البداية والنهاية

(١٠٢/١٢) أن أظهر بعض اليهود الخيابرة كتاباً ، وزعموا أنه كتاب رسول الله ﷺ لإسقاط الجزية عن أهل خيبر ، وفيه شهادة بعض الصحابة رضى الله عنه فلما رفع الكتاب إلى وزير الخليفة العباسى أبى القاسم بن مسلمة أحاله على المؤرخ الحافظ الحجة أبى بكر الخطيب البغدادى ، فتأمله ثم قال : هذا مزوّر . فقيل له : من أين لك هذا ؟ قال: فيه شهادة معاوية ، وهو إنما أسلم عام الفتح (سنة ٨ هـ) وفتح خيبر كان سنة (٧ هـ) وفيه شهادة سعد بن معاذ ، وهو قد مات يوم بنى قريظة (سنة ٥ هـ) قبل فتح خيبر بسنتين .

وهكذا تمكن الخطيب البغدادى بفضل استعانته بالمعلومات التاريخية الثابتة من اكتشاف تزوير نص هذه الوثيقة ، واعتمد الوزير ما قاله المؤرخ ، ولم يجز اليهود على ما فى كتابهم .

وينطبق على هذا الحادث وأشباهه ما سبق أن قاله سفيان الثورى : لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ .

مقدمة فى تدوين السنة من عصر الصحابة إلى عصرنا هذا

التدوين فى عصر الصحابة

من الثابت أن بعض الصحابة كانوا قد كتبوا عن رسول الله ﷺ بإذن خاص منه كعبد الله بن عمرو ، ثم كتب غيرهم جانبا من حديثه بعد إذنه ﷺ بالكتابة إذنا عاما غير أن معرفة كل ما تضمنته تلك الصحف لم يكن ميسورا ، وذلك لأن بعض الصحابة كانوا يحرقون ما لديهم أو يغسلونها قبل وفاتهم ، وبعضهم كان يوصى بما عنده لمن يثق به ، وكانوا يفعلون ذلك خشية أن تئول تلك الصحف إلى غير أهل العلم ، وقد بدأت الكتابة فى عهد رسول الله ﷺ

ومن ذلك أمره ﷺ بتدوين المعاهدة التى نصت على حقوق المسلمين المهاجرين والأنصار ، وموادعة يهود المدينة ، وكان ذلك فى السنة الأولى للهجرة ، ومن ذلك أيضا ما أرسله رسول الله ﷺ من أحكام مكتوبة إلى عُمَّاله مثل ما رواه أبو داود فى سننه (٤١٢٩) والترمذى (١٨٣٣) والنسائى (٤٢٦٦) وابن ماجه (٣٧٤٤) عن عبد الله بن عُكَيْم الجُهَنى قال : قرئ علينا كتاب رسول الله ﷺ أن لا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عَصَب .

ومن ذلك كتاب رسول الله ﷺ لوائل بن حجر (ت ٥٠) لقومه فى حضرموت فيه أنصبة الزكاة وبعض أحكام الحدود وكل مسكر حرام .

وكذلك أعطى كتابا لعمرو بن حزم (ت ٥٣) فيه الفرائض والديات حين أرسله إلى اليمن .

ومن ذلك ما رواه أبو عمر ابن عبد البر بسنده عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين قال : وجد فى قائم سيف رسول الله ﷺ صحيفة مكتوب فيها ملعون من سرق تُخُومَ الأرض ملعون من تولى غير مواليه أو قال ملعون من جحد نعمة من أنعم الله .

وروى أبو داود (١٥٦٩) عن حماد قال : أخذت من ثُمامة بن عبد الله بن أنس كتابا زعم أن أبا بكر كتبه لأنس وعليه خاتم رسول الله ﷺ حين بعثه مصدقا وكتبه له : فإذا فيه : هذه فريضة الصدقة التى فرضها رسول الله ﷺ على المسلمين.

وروى نافع عن عبد الله بن عمر : أنه وجد فى قائم سيف عمر بن الخطاب رضى الله عنه صحيفة فيها صدقة السوائم .

وقد اشتهرت صحيفة أمير المؤمنين على بن أبى طالب التى كان يعلقها فى سيفه كما روى البخارى (١١١) عن أبى جُحَيْفة قال قلت لعلى هل عندكم كتاب

قال: لا إلا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم أو ما فى هذه الصحيفة قال قلت فما فى هذه الصحيفة قال العقل وفكاك الأسير ولا يُقتل مسلم بكافر .

ورُوى عن محمد بن على بن أبى طالب ابن الحنفية قال : أرسلنى أبى قال خذ هذا الكتاب فاذهب به إلى عثمان فإن فيه أمر النبى ﷺ بالصدقة .

وكان أبو هريرة يحتفظ بكتب فيها أحاديث عن رسول الله ﷺ .

وجمع سَمُرَة بن جُنْدُب رضى الله عنه (ت ٦٠) أحاديث كثيرة فى نسخة رواها عنه ابنه سليمان قال ابن سيرين فى رسالة سمرة إلى بنيه علم كثير .

وكان ابن عباس يسأل الصحابة ويكتب عنهم وعندما توفى ابن عباس ظهرت كتبه وكانت حمل بعير .

ويُروى عن ابن عمر أنه كان إذا خرج إلى السوق نظر فى كتبه .

ويُعد الصحابى الجليل زيد بن ثابت الأنصارى (ت ٤٥) أول من صنف كتابا فى الفرائض ، وكان رضى الله عنه من كَتَبَة الوحى على عهد رسول الله ﷺ وهو من أوائل الجامعين للقرآن الكريم بإشارة أبى بكر الصديق رضى الله عنهم أجمعين ، قال جعفر بن بُرْقان سمعت الزهرى يقول لولا أن زيد بن ثابت كتب الفرائض لرأيت أنها ستذهب من الناس ، وقد رَوَى عنه كتابه فى الفرائض ابنُه خارجة بن زيد بن ثابت ، وهو من مرويات ابن خير الإشبيلى .

قال ابن خير كتاب الفرائض لزيد بن ثابت رحمه الله حدثنى به أبو بكر عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه زيد بن ثابت رضى الله عنه ، ولا تزال مقدمة هذا الكتاب محفوظة فى المعجم الكبير للطبرانى .

وكانت هناك صحيفة مشهورة بيد الصحابى الجليل عبد الله بن عمرو بن

العاص (ت ٦٥) وهى الصحيفة الصادقة ، وقد أذن رسول الله ﷺ لعبد الله بن عمرو فى الكتابة كما روى أبو داود (٣٦٤٦) عن عبد الله بن عمرو قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد أحفظه ، فنهتنى قريش وقالوا : أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم فى الغضب والرضا . فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بأصبعه إلى فيه فقال : اكتب فوالذى نفسى بيده ما يخرج منه إلا حق .

وقد رأى الصحيفةَ الصادقةَ مجاهد بن جبر (ت١٠٤) عند عبد الله بن عمرو وقد قال عبد الله بن عمرو عنها هذه الصادقة فيها ما سمعته من رسول الله ﷺ وليس بينى وبينه فيها أحد .

وتضم صحيفة عبد الله بن عمرو ألف حديث كما يقول ابن الأثير فى أسد الغابة إلا أن إحصاء أحاديث عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص عن أبيه عن جده لا يبلغ خمسمائة حديث ، وإن لم تصلنا الصادقة كما كتبها عبد الله بن عمرو بخطه فقد نقل إلينا الإمام أحمد بن حنبل محتواها فى مسنده والحمد لله ، ولهذه الصحيفة أهمية كبيرة لأنها وثيقة علمية تاريخية تثبت كتابة الحديث الشريف بين يدى رسول الله ﷺ وبإذنه .

وكانت هناك صحيفة أخرى وهى صحيفة جابر بن عبد الله الأنصارى (ت ٧٨) ولعلها المنسك الصغير الذى أورده الإمام مسلم فى كتاب الحج .

وكان التابعى الجليل قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨) يرفع من قيمة هذه الصحيفة ويقول : لأنا بصحيفة جابر بن عبد الله أحفظ منى لسورة البقرة .

وقد كانت لجابر بن عبد الله حلقة فى المسجد النبوى الشريف يملى فيها على